الدكتور/حميد الله عبد القادر ★

" العبادة فى الاسلام "

قال الله تعالى : (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[١]

فهذه الاية الكريمة تحدد غاية الخلق كما تبين الحكمة الشرعية الدينية من خلق الجن والانس .... والتى هى وجوب عبادة الله وحده لاشريك له ، وافراده بتلك العبادة

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة[٢]

واصل العبادة: التذلل والخضوع ، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لانهم يلتزمونها و يفعلونها ، خاضعين متذللين لله تعالى[٣]

والعبادة فى اللغة: الذلة .... يقال طريق معبد ، اى مذلل وفى الشرع: عبارة مما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف[٤]

والعبادة فى الاسلام: تؤكد اقرار المرء اقراراكاملا بقلبه وجوارحه وخضوعه خضوعا مطلقا ، يطفى على كل خضوع ، لله الخالق الباقى من وراء كل وجود زائل [٥]

★ استاذ الحديث والفقه اداره علوم اسلاميه جامعة بنجاب لاهور

١. الذاريات : ٥٦-٥٨ (٢) سليمان : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣

٣. القرطبى: الجامع لاحكام القرآن. الذاريات: ٥٦ (تفسيرها)

٤. الشوكانى: فتح القدير ، ٢٢/١

٥. د/ عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الاسلاميه (الرياض) ص ١٤٧

ويقوم التصور الاسلامى، على ان هناك ألوهية وعبودية الوهية يتفرد بها الله سبحانه وتعالى. وعبودية يشترك فيها كل من عداه، و.كل ما عداه. كما يتفرد الله سبحانه بالالوهية كذلك يتفرد تبعالذلك بكل خصائص الألوهية .... وكما يشترك كل حنى وكل شئى بعد ذلك فى العبودية ، وكذلك يتجرد كل حى وكل شئى من خصائص الألوهية ....

فهناك اذن وجودان متميزان : وجود الله و وجود ما عداه من عبيد الله والعلاقة بين الوجودين هى علاقة الخالق بالخلق والاله بالعبيد [١]

والله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان فى هذا الكون ليعبث اويلهو، او يلعب او ليتمرد على الانسانية. ولم يخلق الله الانسان ليطغى ويتمرغ فى وحل الالحاد. ولم يخلق الله الانسان ليعيش فى احضان الجهل ولتبعية العمياء .

قال الله تعالى (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون) [٢]

وقال تعالى: (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئى قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور) [٣]

فالانسان خلقه الله وركب فيه ماركب من قوى الادراك والعلم والفهم والتفكير والعمل. ليكون خليفة فى الارض. والخلافة فى الارض ليست مجرد الملك والرياسة والقهر والغلبة .

فهى قدرة على التفوق العلمى، وقدرته على مواجهة التحديات الشركية وقدرة على الصمود امام الاحداث . وقدرة على محاربة الالحاد والاحزاب الحمراء

---

١. سيد قطب: خصائص التصور الاسلامى ، ص ٢١٥

٢. المؤمنون: ١١٥

٣. الملك: ١-٢

وقدرة على تحقيق الطمانينة ، والامن ، والعدل ، والخير والسلام .

" وان النظرة القرآنية تجعل هذا الانسان بخلافته فى الارض عاملا مهما فى نظام الكون - ملحوظا فى هذا النظام. فخلافته فى الارض تتعلق بارتباطات شتى مع السماوات ،ومع الرياح ، ومع الامطار ومع الشموس والكواكب وكلها ملحوظة فى تصميمها امكان قيام الحياة على الارض ، وامكان قيام هذا الانسان بالخلافة فاين هذا المكان الملحوظ من ذلك الدور الذليل الذى تخصصه له المذاهب المادية،ولاتسمح له ان يتعداه[١]

والانسان اعز واكرم واغلى من كل شئ مادى ، والانسان اكرمه الله بالعبادة ، وامره بها ، ليكون صالحا ، مصلحا **قال تعالى: (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين)** [٢]

واذا كانت العبادة غاية الوجود الانسانى . كما هى غاية كل وجود فان مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذى يرد الى الذهن ، والذى يضيق نطاقها ، حتى يجعلها محصورة بانواع الشعائر الخاصة التى يؤديها المؤمن ، ان حقيقة العبادة تبدو فى معنيين ... اولهما عام والآخر خاص .

اما لعبادة بالمعنى العام فانها تعنى السير فى الحياة ابتغاء رضوان الله وفق شريعة الله فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى ، والقيام بآراء حق الناس استجابة لطلب الله تعالى باصلاح الارض ومنع الفساد فيها ، يعد عبادة وهكذا تتحول اعمال الانسان مهما حققت له من نفع دنيوى الى عبادة اذا قصد بها رضاء الله [٣]

---

١. سيد قطب: فى ظلال القرآن، ١/ ٧١ ٢. الانعام: ١٦٢-١٦٣

٣. د/ عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الاسلاميه ، ص ١٤٨

فالعبادة ماتكاد تستقر حقيقتها فى قلب المسلم ، حتى تعلن عن نفسها فى صورة عمل، ونشاط ، وحركة وبناء -

عبادة تستغرق نشاط المسلم ... بخواطر نفسه ، وخلجات قلبه ، واشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركات جسمه ، ولفتات جوارحه وسلوكه مع الناس ....

وبهذا الاستغراق، وهذا الشمول يتحقق معنى الخلافة فى الارض فى قوله تعالى: (**واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة**)[1]

لأن الخلافة فى الارض هى عمل هذا الكائن الانسانى .... وهى تقضى الوانا من انشاط الحيوى فى عمارة الارض والتصرف الى قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقيق ارادة الله فى استخدامها وتنميتها، وترقية الحياة فيها. كما تقتضى الخلافة القيام على شريعة الله فى الارض لتحقيق المنهج الالهى الذى يتناسق مع الناموس الكونى العام.

ومن ثم يتجلى ان معنى العبادة التى غاية الوجود الانسانى، او التى هى وظيفة الانسان الاولى. اوسع واشمل من مجرد الشعائر وان وظيفة الخلافة داخلة فى مدلول العبادة قطعا، وان حقيقة العبادة تتمثل اذن فى امرين رئيسين:

الاول: هو استقرار معنى العبودية لله فى النفس اى استقرار الشعور على ان هناك عبدا وربا. عبدا يعبد. وربا يعبد. وان ليس وراء ذلك شئى وان ليس هناك الاهذا الوضع ، هذا الاعتبار ليس فى هذا الوجود الاعابد ومعبود والارب واحد والكل له عبيد .

الثانى: هو التوجه إلى الله بكل حركة فى الضمير وكل حركة فى الجوارح، وكل حركة فى الحياة . التوجه بها الى الله خالصة والتجرد من كل

---

١. البقره : ٣٠

شعور آخر ، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة . قال تعالى : (**اياك نعبد واياك نستعين**)[١]

والعبادة هى العبودية المطلقة، معنى وحقيقة . وكل ما يأتى به المسلم فى طاعة الله فهو عبادة لذا كانت جملة " **اياك نعبد** " كلية اعتقادية. فلا عبادة الا لله. ولااستعانة الا بالله وفى هذا مفرق طريق. مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد .

وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشرى الكامل الشامل. التحرر من عبودية الاوهام ، والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الاوضاع واذا كان الله وحده هو الذى يعبد ، والله وحده هوالذى يستعان فقد تخلص العبد من استذلال النظم والاوضاع والاشخاص ، كما تخلص من استدلال الاساطير والاوهام والخرافات [٢]

اما العبادة بالمعنى الخاص: فهى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا . وهى نوع من التربية على العبادة الكاملة الحقة .[٣]

ففرائض الاسلام تخاطب كل الجوانب فى الانسانية وتعنى بكل الحاجات، وتصحح كل الاتجاهات. من وراء كل ذلك .... نجد ان العبادات فى الاسلام تدعو الى الوحدة والجماعة ، وهى اساس لوحدة التفكير ، ووحدة المفاهيم الاساسية فى الحياة ، بل ووحدة القيم ، والمقايس الخلقية ، والنظر الى الخير والشر ، والفضائل والرذائل . وقواعد السلوك[٤]

---

١. الفاتحه : ٥

٢. سيد قطب : فى ظلال القرآن (الدار العربيه للطباعة والنشر) ١٩/١

٣. المودودى : مبادئ الاسلام ، ص ٩٤

٤. عبد الرحيم السائح: من وحى السماء (القاهرة) ص ٤٦-٤٧

والعبادات فى الاسلام تنتهى الى نتيجتين :

اولاهما : الاتجاه الى تربية الوجدان الدينى الذي يجعل المؤمن بالاسلام مؤتلفا مع غيره ، ليتكون من هذا الائتلاف مجتع انسانى متواد متحاب .

والثانية : ان غاية العبادات فى الإسلام ليست مجرد التقوى السلبية لانها تتجه الى النفع الانسانى العام ، وإلى ايجاد مجتمع متحاب ، غير متباغض ولامتنازع فعلاقة الاخلاص لله فيها ان تكون مطهرة للقلب ، قاضية على الشرفية ، مؤلفة بينه وبين الناس من غير مراء ة ولامغالاة [١]

ويوم ان يدرك المسلمون حقيقة العبادة فى الاسلام . ويوم ان يقتنع المسلمون بان الاسلام هو المنهج الأمل . ويوم ان تكون الفرائض الاسلامية عملا بناء ... لاحركات تؤدى ويوم ان تكون " **لااله الا الله** " المنطق الوحيد للمسلمين يومها وبكل تاكيد سوف يتحقق للمسلمين باذن الله تعالى نجاح رائع فى كل نواحى الحياة .

والله ولى التوفيق .

وصلى الله على النبى وآله وسلم .

---

١. محمد ابوزهرة: المجتمع الاسلامى فى ظل الاسلام (القاهرة) ص ٩٦